

دور الايرانيين في تدوين ونشر الحديث من القرن الاول وحتى الرابع الهجري

الدكتورة فاطمة سادات التهامي
عضو الهيئة العلمية بجامعة طهران

هذه المقالة، احصائية قامت بها الدكتورة فاطمة السادات كجزء من رسالة الدكتوراه التي اختارتها لجنة التحكيم للجهاد العلمي باعتبارها (الرسالة المختارة) في مجال العلوم الانسانية لسنة ١٣٧٨ هـ. ش. وطبعت من قبل معهد الثقافة والفن الاسلامي في طهران عام ١٣٨٠ هـ. ش. والاحصائيات المذكورة هي حصيلة جهود مضيئة وطويلة حيث قامت المؤلفة باستخراجها من بطون ستين مصدراً تاريخياً ورجالياً وحديثاً مهماً، ثم قامت بتصنيفها وتنظيمها.

الاربعة الاولى»، معلومات احصائية دقيقة من اكثر من ستين مجموعة تاريخية في الرجال والحديث وقد ضُمِنَت هذه المعلومات الاسماء والأنساب والالقباب وتواريخ الولادة والوفاة، كما اشتملت على اسماء المدن والقرى التي نشأ فيها اولئك المحدثون، وهذه الاحصائية من شأنها أن تسلط الضوء على جانب من تاريخ الحديث في العالم الاسلامي.

من الجدير بالذكر، أنني رغم كوني ايرانية لم أبدِ أي تعصب قومي في استخراج هذه الاحصائية والبحث في

دار الحديث كثيراً حول الخدمات الجليلة التي قدّمها الايرانيون الى الثقافة والحضارة الاسلامية في جميع المجالات العلمية، وذكر القراء والمفسرون والفلاسفة والعلماء الايرانيون الآخرون الذين كانوا يتمتعون بشهرة واسعة. ولكن لم يتم حتى الآن اجراء وتقديم أية دراسة احصائية حول عدد الرواة والمحدثون الايرانيون ومساهماتهم الثقافية.

وقد استخرجت خلال اعداد رسالتي في الدكتوراه حول علوم القرآن والحديث والتي حملت عنوان «دور الايرانيين في كتابة ونشر الحديث في القرون الهجرية

قومية هؤلاء المحدثين. وأنا نفسي أنتمي الى السلالة العلوية. وان كان لا بدّ من أن اتعصب فليكن تعصبي لهذا النسب الذي لا ينقطع حتى يوم القيامة.

مقياس الانتماء الى ايران

إن قصدي من الانتماء الإيراني في هذه الاحصائية. الاشخاص الذين ينتمون الى القوميات الإيرانية العديدة والذين كانوا يعيشون في بلاد فارس (كما كان العرب يسمونها في صدر الاسلام) اعتباراً من جبال هندوكش ونهر السند في الشرق. وحتى سواحل دجلة في الغرب، ومن نهر جيحون وبحيرة خوارزم وبحر الخزر وجبال القوقاز في الشمال وحتى سواحل بحر عمان وخليج فارس في الجنوب والذين كانوا يجاورون العرب الساكنين في جزيرة العرب وسواد العراق عند الحدود الجنوبية والجنوبية الغربية، هؤلاء الأقوام كانت لهم في صدر الاسلام وقبله دولة واحدة وكانوا يتحدثون بلهجات مختلفة تمتد جذورها كلها الى اللغة الفارسية القديمة.

وقد امتزج الإيرانيون مع العرب تدريجياً بعد دخولهم الاسلام واكتسب الإيرانيون الذين كانوا يعيشون في جوار الأغلبية العربية في البصرة والكوفة، الطابع العربي بشكل تدريجي، وفي المقابل فإن العرب الذين كانوا يعيشون في مدن مثل بخارى ومرو ونيسابور وقم واصفهان بين الاغلبية الإيرانية الساحقة. ذابوا شيئاً فشيئاً في المجتمع الإيراني واكتسبوا الهوية الإيرانية.

وأنا أقصد من «النسبة الإيرانية» في هذا الاحصاء. الاغلبية الساحقة من ذوي الاصول الإيرانية أو الاقلية ذات الاصول العربية التي اكتسبت الهوية الإيرانية بعد مرور عدة اجيال واكثر من قرن.

مسيرة الحديث في ايران

لقد كانت فتوحات العرب المسلمين في الجبهة

الشرقية (ايران) تسير بشكل مذهل، ففي خلال فترة زمنية امتدت الى ما يقرب من عشرين سنة اعتباراً من معركة القادسية الكبرى سنة ١٤ هـ حتى مقتل يزيدجرد سنة ٣٢ هـ حيث سيطر العرب على جميع ارجاء الامبراطورية الساسانية الإيرانية، ولكن العرب المسلمين لم يمارسوا أي ضغط أو اكراه على الإيرانيين لاعتناق الاسلام، وقد اكتفوا بالصلح واخذ الجزية لأنهم اعتبروا الزرادشتيين الذين كانوا يشكلون غالبية المجتمع الإيراني من أهل الكتاب. ولذلك فقد كان الانتشار الثقافي للاسلام في ايران بطيئاً واستغرق اربعة قرون، من القرن السابع وحتى الحادي عشر الميلادي عندما اعتنق غالبية الإيرانيين الاسلام دون اكراه واجبار^(١).

يقول مرتضى مطهري في هذا المجال: «اعتنق غالبية الإيرانيين الاسلام حتى اوائل القرن الثالث الهجري. فقد بقي الكثير منهم على الديانة الزرادشتية والمسيحية والصابئية بل وحتى البوذية، ولم يكن اهل طبرستان قد اعتنقوا الاسلام حتى بعد ٣٠٠ سنة من الهجرة»^(٢)، وحتى ان القاضي صامد الاندلسي المؤرخ الذي عاش في القرن الخامس الهجري، كتب قائلاً: «انقرضت الدولة الساسانية سنة ٣٢ هـ واعتنق طائفة من الإيرانيين الاسلام، وبقيت غاليّتهم على الديانة المجوسية في الاهواز وفارس واصفهان وخراسان حتى الآن»^(٣). ولذلك فإن عدد الإيرانيين من اهل الحديث لا يتجاوز طيلة القرن الاول الهجري سوى بضع عشرات من الأشخاص، على أنهم إما كانوا من الإيرانيين الذين ذهبوا الى اليمن وأقاموا فيه على عهد خسرو انوشيروان لمساعدة سيف بن ذي يزن، ثم دخلوا الاسلام بعد ظهوره، أو الأشخاص الذين كانوا اعتنقوا هم انفسهم أو آبائهم الاسلام خلال فتوحات العرب المسلمين، وعاد البعض منهم الى موطنهم.

دور الإيرانيين في تدوين ونشر الحديث من القرن الاول وحتى الرابع الهجري

تطبيقية لعدد المحدثين الإيرانيين المسلمين مع محدثي البلدان الإسلامية الأخرى. فقد استخرجت الجدول التالي من خلال تصفح قاموس الاعلام للزركلي واحصاء المحدثين الذين ذكرت أسمائهم وأنسابهم في القاموس المذكور.

عدد المحدثين حسب البلدان الإسلامية

اسم البلد	عدد المحدثين
إيران (حدود العصر الساساني)	٣٥٤
إيران (الحدود الحالية)	٢٤٩
العراق	٢٧٣
الشام (سوريه، لبنان، الاردن، فلسطين)	٢٠٠
مصر	١٠٣
اندلس	٩٨
المغرب	٧٦
نجد والحجاز	٦٥
اليمن	٣٨
الهند	٢٤

٢ - عدد المحدثين حسب المدن الإسلامية

اسم المدينة	عدد المحدثين
بغداد	٨٨
دمشق	٧٤
البصرة	٧٢
الكوفة	٦٩
نيسابور	٥١
اصفهان	٤٦
المدينة المنورة	٢٤
المكة المكرمة	٢٣
بخارى	١٤
بلخ	١٢

ولكن عدد المحدثين الإيرانيين ازداد مع انتشار الاسلام في ايران، والجدول التالي يشير الى عدد المحدثين الإيرانيين في القرون الاربعة الهجرية الأولى.

القرن	عدد المحدثين الإيرانيين
١	١١ شخصاً
٢ -	٤٠٩ شخصاً
٣	٢٣٤٩ شخصاً
٤	٣٤٨١ شخصاً

مجموع المحدثين الإيرانيين في القرون الهجرية الاربعة الاولى - ٦٢٥٠ شخصاً.

ويبين الجدول التالي توزع المحدثين الذين احصيناهم حسب المدن التي ولدوا أو عاشوا فيها:

اسم المدينة	عدد المحدثين
نيسابور	٨٢٣ شخصاً
اصفهان	٧٩٢ شخصاً
مرو	٦٦٢ شخصاً
جرجان	٤٣١ شخصاً
بخارى	٣٣٦ شخصاً
ري	٣١٣ شخصاً
قزوین	٢٨٧ شخصاً
بلخ	٢٢٢ شخصاً
قم	٢١٣ شخصاً
استراباد	٢٠٣ شخصاً
سنمرقند	١٩٦ شخصاً
هرات	١٧٩ شخصاً
همدان	١٠٣ شخصاً

احصائية تطبيقية

انّ الارقام التي مرّ ذكرها تشير الى عدد المحدثين الإيرانيين المسلمين فقط، ومن أجل اعداد احصائية

المكانة العلمية للمحدثين الإيرانيين:

لا تبدو أهمية ومكانة المحدثين الإيرانيين من عددهم الكبير فقط، بل يوجد أيضاً بين المحدثين الإيرانيين البالغ عددهم ٦٢٥٠ والذين كانوا يعيشون طيلة القرون الهجرية الأربعة الأولى، علماء حديث من الطراز الأول.

وقد ولد جميع أصحاب الصحاح الستة لأهل السنة في مدن إيران: بخارى، نيسابور، قزوين، نسا، سجستان وترمز حيث ظهر من إيران طيلة هذه القرون الأربعة ٣١٧ محدثاً مصنفاً ألفوا ٥٦٩ كتاباً ومجموعة في الحديث، وهذا العدد لا يتضمن سوى الكتب الحديثية التي ذكرت في كتب الرجال والسير بأسمائها ومواصفاتها، وأما عدد المؤلفات التي بقيت مجهولة ولم يذكر سوى عددها في الكتب المختلفة أكثر من ذلك بكثير، حتى ذكر لثمانية من هؤلاء المحدثين ١٨٧٧ كتاباً وهم:

- ١ - محمد بن بحر الرهني السجستاني، ٥٠٠ كتاب.
- ٢ - عمر بن أحمد المروزي، ٣٠٠ كتاب.
- ٣ - محمد بن أحمد بن أيوب بن زاذان، ٢٠٠ كتاب.
- ٤ - محمد بن علي بن بابويه القمي، ٢٠٠ كتاب.
- ٥ - فضل بن شاذان النيسابوري، ١٨٠ كتاب.
- ٦ - داود بن علي بن خلف الأصبهاني، ١٥٧ كتاب.
- ٧ - محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري، ١٤٠ كتاب.
- ٨ - أحمد بن محمد بن الحسن القمي، ١٠٠ كتاب.

مكانة المحدثين الإيرانيين في مجال الحفظ

تصادفنا في المصادر الرجالية والحديثية المختلفة والعديدة نماذج وأمثلة على مقدرة المحدثين في مجال الحفظ، ومنهم المحدثون الإيرانيون، وهي تبدو أحياناً عجيبة ومبالغاً فيها وتشير الإحصائية التالية إلى قوة

ذاكرة بعض من هؤلاء المحدثين الذين ذكرهم المؤرخون وعلماء الرجال:

فقد كان أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم... بن فروخ الرّازي يحفظ ٧٠٠ ألف حديث^(٤)، وكان محمد بن اسماعيل... بن بزويه البخاري يحفظ ٣٠٠ ألف حديث^(٥). فيما كان أبو عبد الله محمد بن عُميرة الجرجاني يختزن في ذاكرته ١٠٠ ألف حديث^(٦) وأبو عبد الله عبد الرحمان بن احمد الختلي ٥٠ ألف حديث.

الرحالة الإيرانيون

لقد كان تفرّق الرواة والمحدثين المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي الواسع يقتضي أن يجوب طلاب الحديث شرق وغرب العالم الإسلامي من أقصى خراسان وحتى المغرب الأقصى من أجل الحصول عليه وتعدّ رحلة جابر بن عبد الله الأنصاري من المدينة إلى الشام من أجل الاستماع إلى حديث من عبد الله بن أنيس الأنصاري أول رحلة لطلب الحديث تأتي بعدها رحلة أبي أيوب الأنصاري من المدينة إلى مصر لسماع حديث من عقبة بن عامر.

ويحتلّ المحدثون الإيرانيون مكانة رفيعة بين هؤلاء الرحالة، ذلك لأنهم كانوا يعيشون غالباً في المناطق الشرقية من إيران وقد كانت المسافة بينهم وبين مواطن أصحاب الحديث في الحجاز ومصر واليمن والمغرب بعيدة للغاية.

ونذكر فيما يلي مشاهير المحدثين الإيرانيين الرحالة طيلة القرون الهجرية الأربعة الأولى:

- محمد بن إبراهيم بن زاذان الأصفهاني المعروف بابن المقرئ الذي جال شرق وغرب العالم الإسلامي أربع مرّات في طلب الحديث واجتاز سبعين مرحلة في رحلته للحصول على نسخة احاديث المفضل بن فضالة. ولو أنّه، على حدّ قوله، عرض هذا الحديث على

خبّاز لما اشتراه برغيف.

- محمد بن اسحاق بن منده، الملقّب بختام الرّحّالين، وقد كان يتنقل من مدينة لأخرى مدّة ٤٥ سنة طلباً للحديث وتلقّن الحديث من ١٧٠٠ شيخ.
- يعقوب بن يوسف بن جوان الفارسي. أمضى ثلاثين سنة متنقلاً في طلب العلم وأخذ الحديث من ١٠٠٠ شيخ من أرجاء العالم الاسلامي.

المحدّثون الإيرانيون المستوطنون

في البلاد الاسلامية الأخرى

لم يكن المحدّثون الإيرانيون يسافرون الى أرجاء العالم الاسلامي طلباً للحديث فقط، بل أنّ عدداً كبيراً منهم سكنوا واستوطنوا في مدن ومناطق بعيدة للغاية عن أوطانهم. وعدد هؤلاء المحدّثين في مراكز العراق العلميّة وكذلك في جوار بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف يربو على الحصر، ونحن نكتفي هنا بذكر اسماء أولئك الذين كانوا يعيشون في البلدان النائيّة، في مصر واليمن:

١ - في مصر:

- ابو عبد الله نافع الديلمي (ت ١١٧ هـ) الذي بعثه الخليفة عمر بن عبد العزيز الى مصر لتعليم القرآن والفقه وأقام فيها.

- ابو حارث ليث بن سعد الذي كان أصله من أصفهان وهاجر والده الى مصر وولد هو في قلقشندة، واصبح مفتي وشيخ الدّيار المصريّة.

- ابو علي حسين بن محمد ماسرجسي النيسابوري. صاحب المسند الكبير اقام سنوات عديدة في مصر.

٢ - في اليمن:

- ابو عبد الله حسين بن عبد الله الجرجاني (ت ٣٩٠ هجري).

- ابو زرعة الاسترآبادي اليمني.

المرأة الإيرانية ودورها في نشر الحديث

على الرغم أنّ النساء في جميع المجتمعات البشريّة، وفي المجتمع الاسلامي بنسبة أقلّ، تخلّفن عن اللّحاق بمسيرة العلم والمعرفة في القرون الهجرية الأربعة الأولى، ولم تكن الأرضيّة ممهّدة لهنّ لدخول مجالات العلم المختلفة، إلّا أنّ هناك في هذه الفترة تسع نساء إيرانيّات ذُكرن في عداد المحدّثين وكلّهنّ من أسر العلم والحديث.

١ - أمّ عبد الرّحمن الجرجاني (القرن الثالث) روت عن موسى بن السّندي.

٢ - فاطمة سعدوية النيسابوريّة، بنت عبد الله (القرن الثاني)، روت عن أبيها.

٣ - هبة العزيز أمّ الفضل الجرجاني (عاشت في ٣١٧ هجري) ابنة أحمد بن عبد الرّحمن من محدّثي جرجان، سمعت الحديث وروت عن علي بن محمّد بن حاتم.

٤ - جمعة بنت احمد بن محمّد بن عبيد الله، أمّ الحسين النيسابوريّة، (عاشت في ٣٦٧ هـ)، سافرت الى بغداد ونقلت الحديث فيها عن بكر بن محمّد بن ياسين والحافظ أبي احمد وأبي بكر الطرازي وروى عنها ابو محمّد الخلال وعبد العزيز بن أزجى.

٥ - سعيدة بنت احمد بن محمّد بن شعيب بكر آباذي الجرجاني (القرن الرابع) روت عن أبي نعيم عبد الملك بن محمّد بن عدي.

٦ - فاطمة بنت ابي بكر عبد الله بن ابي داود، أمّ سلمة السّجستانيّة (القرن الرابع) وهي حفيدة أبي داود السجستاني، صاحب السنن وروت عن أبيها.

٧ - فاطمة بنت علي بن النّعمان الكبوذنجكيّة (كانت حيّة ٣٨٠ هـ) كانت تروي عن أبيها وعن نصر بن رسول اليزداني، سمع وكتب الحديث عنها أبو سعيد الادريسي في كبوذنجك.

٨ - فاطمة بنت احمد بن محمّد بن عبد الكريم

الجرجانية (القرن الرابع) روت عن أبيها.

٩ - ليلي بنت احمد بن مسلم بن شعيب، أم البهاء
المدينية الاصفهانية (القرن الرابع) روت عن أبيها
وكذلك عن الطبراني.

اتخاذ الاسماء العربية الاسلامية

تشير الاحصائيات المستخرجة على ان هناك سبعة
اشخاص فقط احتفظوا باسمائهم الايرانية من بين
٦٢٥٠ محدثاً ايرانياً طيلة القرون الهجرية الاربعة
الاولى، واما الآخرون فقد تسموا جميعهم بعد اعتناقهم
(أو احد اجدادهم) الاسلام باسما عربياً، باسم
النبي ﷺ وأسماء أهل بيته والشخصيات الدينية
الأخرى في الغالب، وطبقاً للاحصائية التي اعدتها
بشكل دقيق فقد اتخذ ١٦١١ من المحدثين الايرانيين
اسم «محمد» و ٩٠٧ شخصاً اسم «أحمد» و ٣٥٤
شخصاً اسم «علي» و ٢٠٨ شخصاً اسم «حسن» و ١٣٨
شخصاً اسم «حسين» و ٥٠ شخصاً اسم «عمر» و ٢٧
شخصاً اسم «عثمان».

وتشير دراسة أخرى أجريتها على ان ٩٢ بالمائة من
المحدثين الايرانيين من القرن الاول وحتى الرابع
الهجري كانوا يتبعون أحد المذاهب السنية الأربعة. فيما
كان ٧ بالمائة على المذهب الشيعي.

الهوامش

- ١ - اشبولر، تاريخ ايران در قرون نخستين اسلامي، ترجمه فلاتورى،
ج ١، ص ٢٣.
- ٢ - مطهرى مرتضى، خدمات متقابل ايران و اسلام، ج ١، ص ١٠٥.
- ٣ - القاضي صاعد الاندلسي، التعريف بطبقات الامم، تحقيق دكتور
غلامرضا جمشيد نژاد، ص ١٦٢، تهران، ١٣٧٦.
- ٤ - طبقات الحفاظ ٢٥٣، التدوين في اخبار قروين ٣ / ٢٨٤.
- ٥ - سير اعلام النبلاء ١٢ / ١٩١، طبقات الحفاظ ٢٥٢.
- ٦ - تاريخ جرجان ٤٠٩، طبقات الحفاظ ٢٤٥.